الـقيمة التعليمية والتربوية للدرس الفلسفي، قراءة في مؤلف: خلاصة الميتافـيـزيقا(لصاحبه الأستاذ الدكتورمحمود يعقوبي)

د / لكحل فيصل
أ / حمر العين زهور
جامعة ابن خلدون تيارت

مقدمة:

إن الكلام عن إسهامات الدكتور محمود يعقوبي في مجال الدراسات الفلسفية يقود إلى الحديث عن جملة مؤلفاته القيمة التي أثرى بها المكتبة الجامعية، ابتداء من إسهاماته الأولى كمفتش عام للفلسفة في الجزائر منذ بداية السبعينات وكأستاذ بمعهد الفلسفة والمدرسة العليا للأساتذة، والتي تمثلت في مؤلفات «الوجيز في الفلسفة «و»النصوص الفلسفية الميسرة»، وفي المرحلة الجامعية مثل»دروس المنطق الصوري» و»أصول الخطاب الفلسفي»،»ابن تيمية والمنطق الأرسطي» بالإضافة إلى الترجمات التي قدمها للمصادر المختصة في الدراسات المنطقية مثل»المنطق الصوري»لجول تريكو، و»مدخل إلى فلسفة المنطق»لـــــ»دوني فرنار» ونظرا لتعدد ميادين اهتماماته ودراساته من المنطق إلى فلسفة المعرفة، تاريخ العلم والابستيمولوجيا، أثرنا اختيار أحد أهم المؤلفات التي تحتوي هذه المباحث الفلسفية على اختلافها وتنوعها، ونقصد بالذكر سلسلة مؤلف «خلاصة الميتافيزيقا» الذي يحتوي على أربعة أجزاء وهي على التوالي «فلسفة المعرفة»، «فلسفة الطبيعة» «فلسفة الوجود»، «فلسفة الألوهية»، وقد تم اختيار هذا المؤلف للتحليل والتقييم لسببين اثنين: الأول هو أن هذه الدراسة تمثل حوصلة بيداغوجية لتاريخ الميتافيزيقا منذ المرحلة اليونانية إلى غاية المرحلة المعاصرة من مراحل تطور الفكر الفلسفي، أما السبب الثاني فهو علاقتها بالتحصيل العلمي لطالب الفلسفة ومراعاتها لمقررات البرنامج التربوي، فهو خلاصة لخبرة عامة في مجال الدرس الفلسفي تأليفا وتعليما، ولقد أراد مؤلف هذه الخلاصة أن تكون كتابا تعليميا يجد فيه طالب الفلسفة أهم المسائل الميتافيزيقية ومختلف المواقف منها مرتبة ومبوبة بحسب اجتهاد خاص، كان في أساسه استجابة لضرورة ملحة اقتضاها الواقع التعليمي في الجامعة الجزائرية وفي المدرسة العليا للأساتذة خاصة، تمثلت في إحساس صاحبها «محمود يعقوبي» بقلة المؤلفات الخاصة بمبحث الميتافيزيقا، وهذا إما لعدم مناسبتها للتعليم وإما لعدم استجابتها لمقررات البرنامج وإما لعدم توفرها في المكتبات لمراجعتها أولاقتنائها، ولقد كان لنا فرصة الاحتكاك بالأستاذ الدكتور «محمود يعقوبي» في مرحلة التدرج من خلال دروسه التي قدمها لنا في مدة ثلاث سنوات في مجال»المنطق الصوري، المنطق الرياضي، الميتافيزيقا»، ولقد زادت فائدة هذا الاحتكاك في مرحلة ما بعد التدرج من خلال دروس «فلسفة المنطق والميتافيزيقا، ومنهجية البحث الفلسفي»، وهذا ما حفزنا في الكلام عن الأبعاد التي سعى الأستاذ «محمود يعقوبي» إلى تحقيقها في سلسلة مؤلفه «خلاصة الميتافيزيقا» في أكثر من زاوية، زاوية البرامج والمقررات وعلاقتها بالتحصيل العلمي للطالب وزاوية التأطير العلمي والتربوي، كما يمكن النظر إليها من زاوية التفكير في الإنتاج والمردودية والنجاعة التكوينية لطالب الفلسفة وكذا من زاوية الدور الثقافي والتاريخي الذي يرمي من خلاله إلى محاولة بعث الميتـافيزياء الإسـلامية من مرقدها، وذلك بتحديد الصلة بها من خلال الدراسة والتأليف والتفكير في

المسائل التي تعرضها أو الحلول المقدمة لها، ومن هنا فإذا أردنا تقييم سلسلة مؤلف «خلاصة الميتافيزيقا» من خلال معرفة علاقته بالواقع التعليـمي لطالب الفلسفة وتسألنا عن حصيلته ومكتسباته فما الذي يمكن استخلاصه؟ وبمعنى أخر: ما هي الإسهامات التربوية والتعليمية التي أضافها الأستاذ الدكتور «محمود يعقوبي» في مجال الدرس الفلسفي من خلال سلسلة مؤلفه خلاصة الميتافيزيقا؟ ومـا هي تداعيات وامتدادات هذه الإسهامات على مسار التحصيل التربوي والتعليمي لطالب الفلسفة؟

لقد ذكر الأستاذ "محمود يعقوبي" في كتابه "أصول الخطاب الفلسفي" أن هناك ثلاثة أنواع للبحث الفلسفي، فهو إما أن يكون إبداعا، وإما حديثا عن إبداع أو نشرا أو تحقيقا لهذا الإبداع، ومن تماسك فكره المنطقي راح في كتابه "خلاصة الميتافيزيقا" يحدد ومنذ البداية إلى أي نوع من البحث الفلسفي سينتمي هذا العمل فكان انتمائه إلى النوع الثالث وهو نشر وتحقيق لإبداعات فلسفية، يقول «هذه خلاصة لمسائل الميتافيزيـاء ليس لي فيها إلا الانتقاء والعبارة، أما الأفكار والآراء فهي لأصحابها الذين أجريتها على ألسنتهم أو لخصتها من أعمال غيرهم من المؤلفين الذين اعتمدت عليهم في تجريد هذه الخلاصة»[2]، وبما أن لكل سلوك بشري أسبابه فقد جاء الكتاب سدا لفراغ تعرفه مكتبة الدراسـات الفلسفية التي هي معوزة للكتب التعليمية في مجال الميتافيزياء ويوضح "محمود يعقوبي" ذلك في تقديمه لجنيالوجيا أو نشأة فكرة الكتاب من المعاناة والهموم الفكرية التي اعترضته خلال تجربته في التدريس، وحيث يجب أن تلازم الجدية والدقة البحث الفلسفي أرشدنا إلى أهم الكتب التي اعتمدها في صياغة كتابه مقتنعا في ذلك أنه يتوجه إلى طلبة الفلسفة بجميع مستوياتهم، إذ اعتمد على كتاب "روجي فيرنو" في "فلسفة المعرفة" وعلى كتاب "ريجيس جوليفي" في "فلسفة الطبيعة" وعلى كتاب "هنري كلان" في فلسفة الوجود وعلى بعض كتب "هنري دريفوس لوفوايي" في فلسفة الألوهية"[3]، وبعد أن حدد السبب في صياغة الكتاب وملابسات بروز فكرته، قام بتصنيف المراجع التي اعتمد عليها، وهي خطوات يقتضيها كل عمل فلسفي، حيث يتبين أن الغاية منه هي غاية تكشف عن انتمائه حينا وموضوعية بحثه حينا آخر نتلمسها في قوله « لقد أردت أن تكون هذه الخلاصة بعثا للميتافيزياء الإسلامية من مرقدها وذلك بتجديد الصلة بها، بالدراسة والتأليف، ويمكن أن يحصل ذلك باقتفاء آثار الميتافزيائيين الأوربيين ذوي المذاهب الفلسفية العريقة أو النابتة في العصور الحديثة، لا من أجل تقليدها، بل للاحتكاك بها ولمعرفة قيمتها وللوقوف منها مواقف معلّلة عند القبول أوالرّد»[4]، وانطلاقا من كتابه "أصول الخطاب الفلسفي" فإن ترتيب المواضيع لن يكون بشكل عشوائي كونه نشر وتحقيق لإبداعات فلسفية، لكن تحت أي نوع من الأنواع التي حددها الأستاذ محمود يعقوبي يندرج بحث "خلاصة الميتافيزيقا"؟

إن البحث يقدم حقائق عقلية «إذ الباحث المبدع في الفلسفة هو الذي يضيف إلى تصوراتنا تصورا أوتصورات أخرى تعرّفنا بالعناصر التي يتكون منها عالم المعقولات لدينا، أويضيف إلى جملة التفسيرات التي نفسر بها وجود هذه التصورات لدينا، تفسيرا أو تفسيرات أخرى تعرفنا بالأسباب التي ولدت لدينا عالم المعقولات هذا، أو تحل محل تفسيرات أخرى زائفة ولدتها فيه النظرة غير الفلسفية»[5]، ولهذا أتت الموضوعات العامة لـلخلاصة بهذا الترتيب المنطقي، فالكتاب الأول منها في "فلسفة المعرفة"، لأن التساؤل حول إمكان المعرفة وطبيعتها ومصدرها، سؤال يؤرخ له بتاريخ الفكر الفلسفي ذاته، لهذا احتل مكان الصدارة، وطبيعة المعرفة بدورها تطرح مشكلة الوجود الفيزيائي، فيجد الباحث نفسه مباشرة في مواجهة الطبيعة لمّا تعرض نفسها عليه بصفة مباشرة عن طريق حواسه فتكون

مادته الثانية للتفكير، ولعل هذا ما جعل الفلاسفة قبل سقراط يتجهون إلى الطبيعة للإجابة عن تساؤلهم "ماذا وراء الأشياء؟"، لذا كان كان الكتاب الثاني من الخلاصة بعنوان "فلسفة الطبيعة"، وبعد استقراء موجودات الطبيعة يمكن بعد ذلك تحديد ما يخص كل موجود وما هو عام بين الموجودات كالموجودات ذاتها التي لها عللها ولواحقها، ولهذا بالضبط كان الكتاب الثالث بعنوان (فلسفة الوجود)، وحتى تكتمل نظرة الباحث في مجال الميتافيزياء لا بد من الوقوف على العلة المطلقة أو علة العلل أو المحرك الذي لا يتحرك أو الصانع، وهي قمة النظر لكل ميتافيزياء أعدت نفسها للكلية والشمول. لكن كيف يمكننا أن نفهم علاقة هذه المجالات التي تهتم بها الميتافيزياء بالدرس الفلسفي في صيغته البيداغوجية التعليمية؟

إن الدرس التعليمي محتاج إلى الدقة في صياغة المفاهيم ومعالجتها، والفلسفة أكثر من غيرها تحتاج إلى هذه الدقة كونها تقوم على مفاهيم تجريدية تخاطب بها العقول، ولكي يبقى الحوار قائما واحتمال الإقناع واردا، لابد من أن تكون الألفاظ المستخدمة واضحة، والاتفاق حول المفاهيم ممكنا، و"محمود يعقوبي" ينتهج هذه الخطوات في تناوله لمسائل الميتافيزياء، وما يطرح فيها من اشكلات، فهو يتناول مثلا في الفصول الثلاثة الأولى من كتاب "فلسفة المعرفة" تحديد الميتافيزياء من خلال العناصر الثلاثة التالية: "المعنى الأصلي لها" ثم "معانيها المختلفة" ثم "ما هي الميتافيزياء في الفكر الإسلامي" هذا في الفصل الأول، أما في الفصل الثاني فينطلق مما هو شائع من مزج وتوحيد بين "الفلسفة والميتافيزياء" ويوضح العلاقة بينهما، أما في الفصل الثالث الذي دار حول "الحقيقة الفلسفية والحقيقة العلمية" تكلم عن مقابلة الحقيقة الفلسفية للحقيقة العلمية، وتناول من جهة أخرى عنوان "تعريف الميتافيزياء" وهي خطوة لازمة لموضوع البحث، إذ لاسبيل إلى إقناع طلبتنا أو محاورينا إلا باستخدام المعاني المرسلة في ألفاظ يجب أن تكون واضحة خالية من أي لبس أو غموض يقف حائلا دون وصول الدّرس الفلسفي إلى غايته، إذ يجب أن يحدد أستاذ الفلسفة "الألفاظ والمفاهيم المتعلقة بموضوع الدرس البيداغوجي، وذلك بتعريفها وتحديدها، ويتعين هذا التحديد في الألفاظ المشتركة وفي الألفاظ الدالة على المعاني المجردة، ولاسيما في الألفاظ ذات الاستعمال الخاص، لأن الحديث يفقد طابعه الفلسفي متى شاع فيه اللّبس والإبهام، وموضوعه يكون عندئذ غير محدد، مما يفقد معه الحوار شرطه الأول، وهو الاتفاق على الموضوع ويجب أن يكون تحديد الألفاظ المستعملة بحسب ما يحتاج إليه المقام، فيطول هذا التحديد أو يقصر بالقدر الذي يحصل به الوضوح ويرتفع الإبهام»[6]، وفي هذا الصدد عرف الأستاذ "محمود يعقوبي" الميتافيزياء بردّها إلى أصلها اللغوي اليوناني الذي نعني به "ما بعد الطبيعة" والذي كان عنوانا لكتاب "أرسطو طاليس"، وقد دل معناها على الفلسفة الأولى "الإلهيات" كما جاء في كتاب "الشفاء لابن سينا"، إذ يقول « ومعنى ما "بعد الطبيعة" البعدية بالقياس إلينا، فإن أول ما نشاهد الوجود ونتعرف عن أحواله، نشاهد هذا الوجود الطبيعي، وأما الذي يستحق أن يسمى بهذا العلم، إذ اعتبر بذاته فهو أن يقال له علم ما قبل الطبيعة لأن الأمور المبحوث عنها في هذا العلم هي بالذات وبالعموم قبل الطبيعة»[7] ، وكما يرى أنه دفعا لكل لبس أو التباس ينبغي للباحث أن يستشهد من المصادر الأصلية مباشرة وبذلك يسد على نفسه وغيره أبواب الريبة في الأقوال المنقولة اللّهم إلا إذا كان المروي عنه ممن لم يدون أقواله في كتاب ولم تعرف أقواله إلا ممن نقلها عنه مشافهه، ولهذا نبه إلى خطر ذلك "ابن رشد" عندما قال في كتابه "تهافت التهافت" «فأنظر إلى هذا الغلط ما أكثره على الحكماء فعليك أن تبين قولهم هذا هل هو برهان أم لا؟ أعني في كتب القدماء لا في كتب ابن سينا أو غيره الذّين غيروا مذهب القوم

في العلم الإلهي حتى صار ظنيا»[8]، من هنا يمكن القول أن أهم ما يميز الكتاب الثاني "نظرية المعرفة" من الخلاصة هو احتواءه على مفاهيم محدّدة سلفا واعتماده التحليل والاستنباط المنطقي المحكم في انتقاله من المقدمات إلى النتائج أو من الأثر إلى المؤثر، كونه ينم عن ابتكار للخطاب الفلسفي، وفي هذا الفصل يبدأ بطرح المشكلات المتعلقة بالمسائل الكبرى للبحث الميتافيزيقي، إذ أنّ "وجود المشكلة شرط ضروري لانبعاث الحاجة إلى الخطاب الفلسفي، لكن المشاكل لا توجد نفسها، بل الباحث هو الذي يعثر عليها ويكتشفها بل يبتكرها ابتكارا فتكون القدرة على اكتشاف المشاكل الفلسفية من صميم القدرة على البحث الفلسفي"[9]، لذا طرح "محمود يعقوبي" مشكلة المعرفة وحدد أصنافها وتطورها عبر التاريخ، وذلك من أجل أن يجعل الطالب ملّما بجوانب المشكلة قادرا على مشاركة معلمه في البحث عن إيجاد حل لها؛ مستعينا بمن ذكرهم من فلاسفة في خضم هذا الطرح الإشكالي، لذا كانت الفصول الأربعة الأولى من كتاب "فلسفة المعرفة" بمثابة التمهيد وهو ركيزة أساسية لما سيتناوله كتاب "خلاصة الميتافيزياء" إذ تتضح من خلالها معالم المشكلة في صورتها العامة، وما تبقى هو سبر أغوارها والعمق فيها أكثر وفق طرق استنتاجيه حينا واستقرائية حين آخر، وإن كان الاستقراء ليس سوى ضرب من ضروب الاستنتاج لانتقال الفكر فيه من مقدمات جزئية إلى قضايا عامة، لأن الخطاب الفلسفي المقنع حديث عن ماهيات الأشياء أو عن عللها من أجل معرفة حقائق هذه الأشياء ومعرفة مصدرها، إنه في جوهره خطاب معرفي سواء أكان موضوعه النّظر أو العمل، ولا يمكن أن يكون هناك حديث فلسفي دون أن يكون حديثا عن معرفة حقائق الأشياء وعن معرفة عللها، فالفلسفة معرفة تريد أن تكون دائما قصوى مطلقة كما يري ذلك "محمود يعقوبي"[10]، ومن أجل هذا قدم الأستاذ خطابه الفلسفي من خلال عرضه لمختلف المذاهب الفلسفية التي عبرت هي الأخرى عن الثراء المعرفي لديه، والذي يجب أن يتوفر لدى كل أستاذ لأنه من أجل درس فلسفي ناجح يجب أن تتجاوز معرفة الأستاذ معرفة الطالب في هذا الدرس وإلا انصرف عنه ذهن هذا المحاور كما يجب عليه ضبط طرائق البحث، فيحدد المبادئ العامة أو مواضع الحجج من مواضع لغوية ومنطقية وميتافيزيائية للمذاهب الكبرى، فيبحث في ماهية الأشياء وعللها القصوى في كل منها بالتجريد والنظرة الكلية ويحلل كل حجة من الحجج إلى مجموعة عناصرها ليميز جوهرها من عرضها مستخدما النقد والمحاجة والنزاهة العقلية والنقد الذاتي واستقصاء الحلاقات العامة للمشكلة المطروحة في موضوع البحث، ويمكن أن نكتشف هذا في تحليلات "محمود يعقوبي" من خلال تتبع الخطوات التي شكلت فهرس البحث الذي أورده، ونذكر فيما يلي مثالين تبدو المقارنة بينهما وكشف التماثل على مستوى منهجية البحث المحكمة دليل على روح البحث الفلسفي، وهما المذهب التجريبي والمذهب العقلاني. (أُنظر أنموذج الفهرس التالي):

الفصل الرابع: رأي الواقعيين في مذهب الشكاك 85
الفصل الخامس: فكرة الشك المنهجي 91
الباب الثاني: المذهب التجربي.
تمهيد 95
الفصل الأول: فرق المذهب التجربي 97
أ) الحسيون. ب) الاسميون. ج) الوضعيون. د) التجربيون المنطقيون.
الفصل الثاني: حجج التجربيين 101
أ) حجة كونت. ب) حجة لوك. ج) حجة باركلي. د) حجة هيوم. هـ) حجة الوضعيين.
الفصل الثالث: الرد على التجربيين 107
الفصل الرابع: رأي الواقعيين في المذهب التجربي 111
الباب الثالث: المذهب العقلاني.
تمهيد 115
الفصل الأول: فرق المذهب العقلاني 117
أ) الإيليون. ب) الرواقيون. ج) المعتزلة. د) ديكارت و الديكارتيون. هـ) كانط. و) هيغل. ز) النقدية الحديثة.
الفصل الثاني: حجج العقلانيين 123
أ) ديكارت. ب) ليبنيتس. ج) كانط. د) النقديون المحدثون.
الفصل الثالث: الرد على العقلانيين 127
الفصل الرابع: رأي الواقعيين في المذهب العقلاني 133
الباب الرابع: المذهب المثالي.
تمهيد 137
الفصل الأول: فرق المذهب المثالي 139
أ) ديكارت. ب) كانط. ج) هيغل. د) فيخته. هـ) جوهر المذهب المثالي.
الفصل الثاني: حجج المثاليين 145

نلاحظ من خلال هذا الفهرس أن "محمود يعقوبي" حدد منهجية محكمة للعمل تنم عن إدراكه لكيفية بناء البّحث الفلسفي، غير أن إدراك قواعد البّحث لا يلزم عنه ضرورة القدرة على البناء، إذ لا ينتقل هذا الإدراك من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل إلا من خلال إرسائه في فعل التّفكير في البحّث الذي لا يمكن فصله عن منهجيته، ونقصد هنا نقطتين هما أولا: أنه يجب معرفة قواعد البّحث من ناحية، وهذا أمر ضروري لأي نوع من المعرفة، أما النقطة الثانية فهي إن لزمت باقي العلوم عرضا فهي تلزم الفكر الفلسفي جوهرا، إذ هو لا يستقيم ولا يتضح إلاّ من خلال تقديمه في تسلسل منطقي، حيث يتداخل البحث الفلسفي مع منهجه، وهو ما أكدّه "أرسطو طاليس" في كتابه "الميتافيزيقا" حين دعي إلى ضرورة معرفة قواعد "القياس والبرهان" كما أوردها في "التّحليلات الأولى"

و"الثانية"، من أجـل تحديد الموضوع المبحوث فيه، أي نوع من المعرفة هو، وهذه فكرة أكدها بعده "برتراند راسل"، لأن "الذي يتفق عليـه الفيلسوفان هو جوهـر الفلسفة الذي يتقوّم لديهما من العمل المنطقي الذي بدونه يفقد الخطاب الفلسفي طبيعته"[11]، وهو ما نجده حاضرا في كتاب "الخلاصة" حتى لتعتقد أنّك تتحرك في صفحاته بشكل آلي أوجده تماسكه المنطقي منهجا ومعرفة، من بين هذا أن "محمود يعقوبي" يتعمق في تعريف الميتافيزياء بمعانيها المختلفة التي صارت إليها فيما بعد منتهجا درب الدقة في ربط التعريف بصاحبه أو التيار المنتمي إليه أو الكتاب الذي ورد فيه التعريف محددا الفترة الزمنية التي عاشها ملتمسا في ذلك البعد الكرونولوجي للتعريف وإن كانت هذه التعريفات لم ترد في ترتيب كرونولوجي كما تداولها المفكرون والفلاسفة نظرا للبعد الزمني والمكاني بينهم، منتهيا في ختام هذه التعريفات بالتعريف الإسلامي للميتافيزياء ملتمسا في ذلك غايته القصوى من الكتاب متواضعا لتطلعات طلباته، وكأي بحث جاد وحس راقي بمسؤولية الكتاب يذيل الأستاذ كلا فصل بقائمة المراجع والمصادر التي استخدمها لإثراء موضوعـه موجها بذلك الطلاب إليها لتوسيع آفاق بحثهم من جهة، ودفعهم إلى قراءة المصادر الأصلية من جهة أخرى.

أما في الفصل الثاني من كتاب "فلسفة المعرفة" والموسوم بعنوان «الميتافيزياء والفلسفة»، اعتمد فيه الأستاذ "محمود يعقوبي" المنهج التحليلي، حيث تناول بالتحليل الموضوعي كل من الميتافيزياء والفلسفة ليبين أن الثانية تندرج ضمن الأولى، فهو ينطلق من قضية تجريبية والمتمثلة في القول الشائع الذي يوحد بين مفهوم الفلسفة ومفهوم الميتافيزياء، لكن المذهب الفلسفي وإن كان ليس تجريبيا فإنه يقوم على الأقل على قضية تجريبية واحدة، وبهذا يشد الأستاذ محمود يعقوبي ذهن الطالب أو المحاور، لأن الانطلاق من قضية ذهنية تجريدية يجعل الفهم بعيدا عن ذهن الطالب مما يؤدي به إلى العزوف عن طلب الحقيقة، فعالم المثل الأفلاطوني صورة مثلى للعالم الحسي ومعاناة الشك والتفكير كحوادث معيشة وخبرات نفسية انطلق منها ديكارت بل وحتى الغزالي الذي لم يكن شكه منهجيا، انطلق من قضية تجريبية وخبرة نفسية في نقده لقدرة العقل على بلوغ الحقيقة والمتمثلة في "رؤية الأحلام والاعتقاد لصدقها بخاطر الرؤية، وقد تكون هذه الخبرات من المعتقدات الراسخة لدى الرجل العادي أو الوقائع النفسية المألوفة أو معطيات العلوم التجريبية[12]، وباستخدام الاستنتاج العقلي واستنباط النتائج من التحليلات يصل الأستاذ "محمود يعقوبي" بذهن الطالب إلى دراسة منطقية لأنواع المعارف فتحضى الميتافيزياء كفلسفة عامة بالمرتبة الأولى ثم الفلسفة الخاصة بالمرتبة الثانية وأخيرا المعرفة العلمية، وفي الفصل الثاني الذي خصه "محمود يعقوبي" بمنهج مقارن اقتضته طبيعة المشكلة ينطلق من تحديده لفكرة الحقيقة محللا ومستشهدا بالأمثلة على الاختلاف الحاصل بين الحقيقة العلمية والحقيقـة الفلسفية ليبين خصائص كل منهما بطريقة يسهل استيعابها فجاء بإثني عشر خاصية لكل منهـما، وحرصا منه عـلى الإقناع والدقة وتأكيدا على الإبلاغ راح يرتبها بشكل توحي الأولى مثلا في الحقيقـة العلمية إلى الأولى نقيضتها في الحقيقة الفلسفية، إذ رتبها على هذا الشكل، الذي نقدمه في هذا الجدول دون اللجوء إلى تحليـل الخصائص واستنباط إحداها من سابقتها كما يقتضيه البحث في الخلاصة، وهذا لأنّ الضد يظهـر الضد – "وهو ليس هدفنا في هذا البحث"–

خصائص الحقيقة الفلسفية	خصائص الحقيقة العلمية	الرقم
عقلية	حسية	01
غيبية	ظاهرية	02
ذاتية	موضوعية	03
اعتقاديه	واقعية	04
إنشائية	خبرية	05
كيفية	كمية	06
تحليلية	تركيبية	07
علمية	شرطية	08
جوهرية	قانونية	09
نظرية	عملية	10
افتراضية	وضعية	11
مطلقة	نسبية	12

جدول يوضح التقابل المنطقي لخصائص كل من الحقيقة العلمية والحقيقة الفلسفية.

أما في كتاب «فلسفة الطبيعة» فيستهله «محمود يعقوبي» بتحديد المفاهيم انطلاقا من تحديد مفهوم الطبيعة، من أجل رفع اللّبس عن هذا المفهوم، فهو لا يقدم التّعريف أو المفهوم الذي يتبناه مباشرة بل يقدّم تعريفات أخرى والتي يمكن أن يعتمدها الطالب بقصد، أو عن غير قصد فيقدم تعريف «ابن سينا» ويذكر أنّ هذا ليس المقصود، ويبادر إلى تحديد المعنى الذي يتبناه فتتضح بذلك الرؤيا لدى الطالب بحذف جميع التّعريفات الغير مناسبة؛ والإبقاء فقط على ما هو موضوع للبحث.

إن تصفح هذا الكتاب يشعرك بأنك لم تدرس شيء من الفلسفة أو الميتافيزياء، إذ ستصادفك مفاهيم تبدو صعبة وغريبة خاصة لمن لا يهتمون بفلسفة العلوم وبمفاهيمها، مثل طبيعة الكمية وأنواعها، نوع الكمية، العدد، الامتداد، طبيعة المتصل والحيز والمكان، مسألة الفراغ المطلق، الحركة، ولكن ذلك التسلسل المنطقي واعتماد الإيضاح الذي لاحظناه في الكتاب الأول يبعث فيك القدرة على تحليل هذه المفاهيم، هذا لأن الأستاذ في تقديمه للدرس الفلسفي في صورته المفهومة والواضحة يجب أن يقدم المفاهيم واضحة ومفهومة للمتعلم، وان كانت لا تعرف إلا بالأجناس العليا فوجب عليه أن يقدم تعريفها بواسطة الرسم (La définition par des-sin)، من أجل مقاربة ماهيتها فيعرف الكمية مثلا بأنها «من الناحية التجريبية هي المجال الكبير والصغير والمقدار المتّحيز والمنقسم، ففي الكثير أكثر مما في الصغير من وحدات والمقدار محدد بعدد من الوحدات والمتحيز يشغل مقدارا من المكان، والمنقسم يتصل وينفصل إلى عدد من الأقسام»[13]، وانطلاقا من هذا التعريف التجريبي الوضعي يرتقى "محمود يعقوبي" بذهن الطالب إلى تعريف الكمية الفلسفية من خلال معرفة تميزها بالانقسام الداخلي وتجانس أجزائها مميزا في ذلك بين الأجزاء الجوهرية في الشيء والأجزاء الكمية، فيبين مثلا أن

قطرات الماء أجزاء الكمية والأكسجين والهدروجين أجزاء جوهرية، إضافة إلى أهمية التعريفات في بناء الدرس الفلسفي نلاحظ انتقال تحليل "محمود يعقوبي" في التدرج من البسيط إلى المركب ومن الحسي إلى المجرد، الذي لا يفاجأ به المتعلم فيذهله ويمنعه من بناء الحوار الحجاجي المنطقي مع الأستاذ، إذ على هذا النحو الذي اتبعه اليعقوبي يمكن أن يعرف الطالب من أين انطلق وإلى أين يتجه وبما أن موضوع المعرفة هو مجموع الموجودات فإن الأمثلة التي تؤيد البحث وتسهل استيعابه تكون حاضرة وبشدة، إما في التعريفات كما رأيناه من خلال مثال الماء أو بتقديم بيانات أو رسومات تبين الفكرة مثل تبيان الفرق بين الكمية المتصلة والكمية المنفصلة، أما عند تناوله لإشكالات أصل العدد أو طبيعة المتصل نجد أنفسنا نقف أمام دقة ونباهة مقتضيات التحليل، فندرك بذلك الثّراء المعرفي للأستاذ "محمود يعقوبي" في ميدان بحثه، ولذا يفترض بالباحث الطالب أن يكون ملّما بجميع فروع بحثه وعلى علم بتطوره وبنظريات البحث كما وردت لدى أصحابها في ميدان تخصصهم، ثم يناقشها وفق ما تسمح به مقتضيات الموضوع والطابع الحجاجي المنتهج في المعالجة، فمثلا في حديث "محمود يعقوبي" عن أصل العدد بين اختلاف النظار فيما بينهم عن ردّه إلى التجربة مع التجربتين أو إلى العقل مع الفطريين، نلمس وفق تحليله أن فكرة العدد اللانهائي تحتاج نوع متميّز من المعرفة وهي المعرفة الرياضية ومعرفة أصحاب نظريات هذا الموضوع، حيث يقول: «...ومن شأن هذه الملاحظات أن تدعونا إلى معرفة المجموعات الموغلة عند (كانتور)(ensembles transfinis de cantor (1845-1918 الرياضي الروسي الذي حاول أن يقدم حلا رياضيا لمشكلة العدد اللامتناهي، فاتخذ نموذجا للعدد اللامتناهي: مجموعة الأعداد الطبيعية (أ) و بيّن أن البديهية التي تقول: إن الكل أكبر من جزئه لا تنطبق على هذه المجموعة إذ أن مجموعة الأعداد الزوجية(ب) 2 ، 4، 6، 8، 10، 12، 14، 16... (ب)، التي هي مجموعة فرعية من مجموعة الأعداد الطبيعية (أ):1، 2، 3، 4، 5، 6 ، 7، 8...الخ (أ) التي تضم الأعداد الزوجية والأعداد الفردية لها نفس القوة التي للمجموعة (أ) بمعنى أن الجزء (ب) يساوي الكل (أ)، ومن هنا جاء التعريف لـ(المجموعات الموغلة)، وهي: كل مجموعة لها نفس القوة التي لمجموعتها الفرعية" [(14)]، وبنفس استفاءه للثراء المعرفي فيما يخص درسه يذهب الأستاذ يعقوبي إلى تحرير مفاهيم أخرى رياضية كانت أو فيزيائية كموضوعية الكيفيات والنظريات المرتبطة بها، دون أن يحيد النظر في الكشف عن الغاية التي من أجلها كانت خلاصة الميتافيزياء وهي تقصي الجانب الميتافيزيائي للطبيعة مقتفيا آثار الفلاسفة الذين تناولوا هذه الجوانب من البحث فيقدم في الامتداد مثلا آراء كل من باركلي، كانط، ديكارت، ومالبرانش، زينون الإيلي، والفرنسي"Lachelierss لاشولي" (1832-1918)، ليبين كيفية تحديد المفاهيم العلمية والفلسفية.

أما في ما يخص الجزء الخاص بـــــ»فلسفة الوجود»، فقد انتهج فيه «محمود يعقوبي» مقاربة تحليلية خاصة نظرا لأن مبحث الوجود أو الأنطولوجيا يشكل لب مبحث الميتافيزيقا، بل هو يتداخل معها في أكثر من مستوى، لأن موضوع الفلسفة الأولى حسب التحديد الأرسطي له هو العلة الأولى للوجود أو العلم الأعلى أو الجوهر وكل هذه التسميات تصدق على الموجود بما هو موجود أو عن سبب وعلة وجوده، وفي هذا يرجع «محمود يعقوبي» إلى عبارة «أرسطو طاليس» التي افتتح بها كتاب «الجيم» قائلا «هناك علم ينظر في الموجود من حيث هو موجود وفي الصفات التي يتصف بها اتصافا جوهريا ولا يلتبس بأي واحد من العلوم الخاصة» [(15)]، وهذا العلم إنما هو علم الوجود، وقد استند «محمود يعقوبي» في توضيح فكرة الوجود إلى الأفهام من خلال بسطه وعرضه لمختلف التعريفات الواردة في

هذا الشأن لتوضيح خواصه التي من بينها أنه: متعال، مبهم الكثرة، كيفي، كمي، موجود.

ولذا فإن فهم طبيعة المشكلات التي يعالجها مبحث «فلسفة الوجود» أو الأنطولوجيا يستدعى منهجية خاصة ينبغي على الأستاذ أن يلتزم بها وعلى الطالب أن يستوعبها، حيث درج «محمود يعقوبي» إلى محاولة بسط مشكلات «مبحث الوجود» بسطا بيداغوجيا يساعد طالب الفلسفة عن طريق استخدام المحاججة البرهانية العقلية على التعامل مع المشكلات التي يتعرض لها في معالجته للمسائل الانطولوجية الميتافيزيقية، ولهذا فإن تقديم الدرس الفلسفي في صيغته الخاصة بمبحث الوجود استدعى من المؤلف التدرج في الانتقال من المستوى الحسي البسيط إلى المستوى العقلي المجرد وهذا ما تحدده نقطة انطلاقه في الباب الأول من هذا الجزء والذي جاء بعنوان «تركيب الموجود المخلوق»، لأن التعامل مع المعطيات الحسية المباشرة التي يتفاعل معها طالب الفلسفة في واقعه اليومي المعيش أمر من شأنه أن يوقض فيه نباهة الوعي والفهم، من خلال استيعابه للمدركات الحسية «معطيات الملاحظة» فهو لا يستطيع تجريد مفاهيم حول الوجود والماهية والصيرورة ما لم تتضح له في البداية المعطيات التجريبية الملاحظة في الأشياء مثل القوة والفعل والكثرة والتغير وغيرها من المدركات التي تنطبق على ما يمكن ملاحظته في معطيات التجربة الحسية الخارجية وهذا الأمر يتوقف بالدرجة الأولى على قدرة الأستاذ في إيصال المعلومة للطالب بالطريقة البيداغوجية والمنهجية السليمة التي لابد أن تتناسب مع طبيعة المشكلة الفلسفية الانطولوجية المعالجة، وبمراعاة هذه المقتضيات يمكن لطالب الفلسفة أن يدخل في حوار بيداغوجي مثمر مع الأستاذ، مثلا ما تعلق منه في الخلاف بين مذهب «واحدية الوجود» الذي يراه الايليون على رأسهم «أكسينوفان»، الذي ينكر وجود الكثرة ووجود التحول في الكائنات ومذهب واحدية الصيرورة الذي يراه «هيرقليطس»، والذي يقر بالكثرة والتغير، وبعد أن يفهم طالب الفلسفة طبيعة المحاججة القائمة بين التصورين يمكن للأستاذ بعد هذا أن يرتقي بذهن الطالب إلى المذهب الثنائي الأرسطي الذي يجمع في توليفة واحدة بين كلا التصورين[16].

إن الأنماط الكلية والشمولية للوجود لا تبقى على المستوى الحسي الملاحظ وان كان هذا المستوى مدخلا ضروريا لفهمها لأن هناك من التصورات مالا يصدق دائما على الموجود الحسي مثل الجوهر، الماهية، وغيرها، ولأن «هذه الأنماط الكلية من الوجود لا تدركها الحواس، إلا أن هذا ليس مبررا كافيا لإنكار وجودها ولا لإنكار أن هذا الشيء سبورة مثلا بدعوى أن العين لا ترى منها إلا مساحة سوداء، بل إن الإنسان يملك ملكات للمعرفة غير الحواس وحقيقة الشيء وما هو عليه إنما يدركه العقل وراء خصائص هذه الأشياء ووراء النشطات الحسية التي تعرب عما هو» [17]، وفي هذا يمكن القول أن طالب الفلسفة سيحصل دائما إما عن طريق المحاججة العقلية المباشرة والحوارية مع غيره من الطلبة والأستاذ، وإما عن طريق تحليله لمواقف الفلاسفة تصورات فلسفية عميقة حول «فلسفة الوجود» أو الانطولوجيا من خلال معالجته للمشكلات التي تطرحها وللحلول الممكنة التي يقدمها الفلاسفة لمثل هذه المشكلات، ويمكن للطالب أن يفرق بين الماهية والوجود إذا ما هو قرأ بتمعن الحجج التي قدمها «محمود يعقوبي» في هذا الصدد من خلال استقرائه لنصوص «ابن سينا» التي تقر مثلا بالفرق الواقعي بين الماهية والوجود، والتي منها على سبيل المثال الصورة المنطقية للحجة الميتافيزيقية التي تقول» _أن الكائن الموجود بمقتضى ماهيته والذي تتطابق فيه ماهيته ووجوده في الواقع هو كائن ضروري دائم لا علة له ولانهاية له»_ لكن المخلوقات ليست ضرورية ولا مستغنية عن العلة وليست دائمة ولا بغير نهاية.- إذن فهي ليست كائنات موجودة بمقتضى ماهيتها [18]، ويمكن إيجاز

حجة ميتافيزيقية أخرى في صورة منطقية مختصرة تقول «- الكمال مغاير للماهية التي تعينه - والوجود كامل- إذن فالوجود مغاير للماهية التي تعينه» [19]

من هنا فالميزة الأساسية التي يمكن معرفتها من خلال الاطلاع على مؤلف «خلاصة الميتافيزيقا» بأجزائه الأربعة، هو أن كل فصل يتناوله خاصة في الجزء الخاص بـــ»فلسفة الوجود» إنما ينطلق فيه من معطيات التجربة، ومثال ذلك في حديثه عن الماهية والوجود، أو عن المادة الأولية والصورة الجوهرية، أي عن الأجسام وخواصها المتغيرة [20]، لأن النظرة التجريبية في هذه الأمور العامة تساعد طالب الفلسفة على التوغل فيها لمعرفة تكوينها الميتافيزيقي، ولعل هذا يكون بعد الاطلاع على موقف الفلاسفة والمفكرين القدماء من مشكلات الوجود المختلفة، مثل السؤال عن المادة الأولية الأصلية التي تتكون منها الأجسام لتفسير التغير الذي تتعرض له هذه الأجسام وفي هذا يكون الاطلاع على موقف كل من المذهب الآلي الذي يرى أن العالم جسماني يتكون من كتلة مادية ذات قصور ذاتي، لأنها تحتاج إلى ما هو خارج عنها من أجل الحركة، والمذهب الدينامي الذي يقرن المادة بالنشاط والحركة، لأنها مؤلفة في نظرهم من قوة غير ممتدة[21]، ولهذا يكون من الضروري لطالب الفلسفة معرفة هذه المواقف من خلال اطلاعه على حجج كل من الآلية الهندسية عند «ديكارت»، والآلية الذرية عند «ديمقريطس» و»ابيقور»، أما في ما يخص المذهب الدينامي فيمكنه أن يطلع على حجج كل من» ليبنتز» و»بوشكوفيتش» و»ميرر» وغيرهما، غير أن الميزة التي ربما يتفرد بها طرح «محمود يعقوبي» هو أنه لا يقتصر فقط على عرض مواقف وحجج الفلاسفة والمفكرين أنصار المذهب الآلي والدينامي، ولكنه يعزز ذلك في قالب لغوي منطقي بسيط وسليم، مما يمكن لطالب الفلسفة القدرة على تلقي المعلومة في صيغتها اللغوية والمنطقية التي تعرفه بحقيقة المذهب والموقف المدروس دون غيره، ولعل ما يزيد من قيمة الدرس الفلسفي في مجال الانطولوجيا «فلسفة الوجود» كما يعرضها «محمود يعقوبي» في مؤلفه هذا هو إلمامه بالخطة البيداغوجية المنطقية التي تشحذ ذهن الطالب وتجعله يعيش نوعا من المحاججة العقلية، ويظهر هذا جليا مثلا في رده على حجج أنصار المذهب الآلي والدينامي بحجج عقلية منطقية أخرى من شأنها أن تبطل وتفند مواقفهم، حيث نجده يقول في هذا ما نصه «إن هذين المذهبين بصفة عامة لا يقدمان حلا للمشكلة الميتافيزيقية المطروحة وهي مشكلة التكوين النهائي للأجسام، بل هما يكتفيان بتحليلها إلى أجزاء مادية أو روحية دون أن يبينا ما هي مكونات هذه الأجزاء في نهاية التحليل ودون أن يبينا سبب وحدتهما الجامعة وسبب خواصهما النوعية»[22]، ومن بين الردود التي ذكرها «محمود يعقوبي» في تفنيد دعوى المذهب الآلي هو الحجة التالية التي تقول»- إن رد جميع الفعاليات وجميع الطاقات وجميع الكيفيات التي تختلف اختلافا نوعيا في الأجسام إلى مجرد الطاقة الآلية هو تحكم محض،- كما أن رد التغيرات الجسمية إلى مجرد تغيرات في العلاقة بين الجزئيات هو تفسير لفظي، لأن العلاقة الواقعية لا تتغير إلا بتغير أحد طرفيها [23]، أما الرد الذي اعترض به على المذهب الدينامي يمكن اختصاره في القول أن المذهب الدينامي لا يستطيع أن يفسر امتداد الأجسام، ذلك أن هذه الأجسام إذا كانت مؤلفة من ذرات روحية لا امتداد لها وبالتالي لا يمكن تكديسها لأنه لا أبعاد لها، فإنه مهما تعددت هذه الأعدام من الامتداد إلى مالا نهاية له فإنه لا يتكون من ذلك شيء ممتد[24]، وهذه حجة منطقية تستند على الأخذ بالمقتضيات الحسية التجريبية في تفنيد دعوى أنصار المذهب الدينامي الذين يرجعون الامتداد إلى أبعاد روحية، والحجة بهذه الصيغة المنطقية تهئ ذهن الطالب إلى اكتساب القدرة الحجاجية في الأخذ والرد بين المواقف والآراء وحتى بين الحجج المخالفة والمعارضة، مما

يمكنه تكوين حجج جديدة يمكن أن يقتنع بها بعد أن تتضح له أغلب الحجج التي تداولها أنصار المذاهب المختلفة في مثل هذه المسائل، وهذا ما يؤهل طالب الفلسفة في ما بعد إلى الخوض في المسائل الشائكة في مواضيع الميتافيزيقا، وأهم هذه المسائل مثلا مشكلة علة الوجود التي خصص لها «محمود يعقوبي» بابا كاملا في الجزء الخاص بفلسفة الوجود الذي تطرق فيه إلى أنواع العلل، المادية والصورية والفاعة والغائية بتحليل مفصل لمبادئها ومفاهيمها، ولعل الشيء الذي يلفت الانتباه في هذا العرض هو تذليل المؤلف في نهاية كل تحليل لموقف ولحجة أو لاستنتاج بمناقشة لمضمونها ولحججها ولما يترتب عنها، ومثال ذلك مناقشته لموقف كل من «ليبنيتز» 1716/1646.الألماني و»مالبرانش» 1715/1638.الفرنسي، والذي فحواه أن الإله وحده العلة الفاعلة الحقيقية التي تقدم لها المخلوقات المناسبة للفعل، وقد استند «محمود يعقوبي» في مناقشته لهذا الموقف على أراء بعض المشائين القدماء والتي صاغها في طابع حجة جديدة مثل قوله في الحجة التجريبية «التجربة تبين لنا مما لا يدع مجالا للشك أننا نؤثر في أنفسنا وفي غيرنا وأننا نتأثر بأفعال غيرنا وأننا نعتبرهم مسؤولين متى كانوا عقلاء تتوفر فيهم شروط المسؤولية»[25]، ولذا يقول في الحجة العقلية «العقل يجد أن المخلوقات تصير غير مفهومة لو كانت خواصها وأفعالها التي يتكون منها النظام الطبيعي الذي يسود العالم لا موجب لها ولا تأثير لها[26]، ومن شأن هذا الاعتراض الحجاجي الذي يقدمه «محمود يعقوبي» في مناقشته لأراء ومواقف بعض الفلاسفة استنادا على أراء ومواقف البعض الأخر، أن يكون مدخلا بيداغوجيا سليما يبين لطالب الفلسفة قيمة الحجة المنطقية الفلسفية في الرد والاعتراض والمناقشة مما يهيب به إلى إعداد روح فلسفية عميقة تستند على أسس منهجية ومنطقية تقتضيها طبيعة الدرس الفلسفي.

بيد أن عمق الدرس الفلسفي في مستواه الميتافيزيقي كما يعرضه «محمود يعقوبي» في سلسلة مؤلفه «خلاصة الميتافيزياء» يتضح بشكل بيداغوجي وتعليمي تربوي أكثر في الجزء الخاص بـــــ»فلسفة الألوهية»، لأن مشكلة الألوهية مشكلة لا تطرح فقط عند المشتغلين بالفكر الفلسفي سواء عند الأستاذ أو الطالب فقط، بل إنها مشكلة الإنسان في حد ذاته من حيث المعتقد الذي يعتقد به ومن حيث الديانة التي يتبعها، ولما كان هذا الجزء من المؤلف خاصا بالدرس الفلسفي الذي ينبغي أن يتلقاه طالب الفلسفة المتعلم الذي يسعى إلى تحصيل المعرفة التي يقتضيها مبحث الميتافيزيقا، فإن «محمود يعقوبي» ارتأى أن يطرح مشكلة الألوهية وفق مرجعية الطرح الإسلامي لها أي ووفق أصول العقيدة الإسلامية، ولعل هذا بسبب أن المتلقي «أي الطالب» يحتاج إلى فهم ومناقشة أراء ومواقف الملحدين على اختلافهم وفق سند عقائدي سليم يسمح له بأن يناقش أطروحاتهم دون أن ينزلق معهم في ما يذهبون إليه، سواء الملحدون الذين ينكرون وجود الإله أصلا أو المتصوفة الحلوليون الاتحاديون الذين يوحدون الخالق والمخلوق مثلما فعل المتصوف الاتحادي «الحسن بن منصور الحلاج»-ت309هـ/-922الذي قال:

«سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الأكل الشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحجاب بالحجاب» [27].

نجد أن «محمود يعقوبي» ينبه الطالب المتلقي أو المبتدئ في مجال الدرس الفلسفي أن يتجنب الاعتقاد في ما يراه المتصوفة الحلوليون المتطرفة الذين لا يمكن لهم البرهنة على ما يدعون في معتقداتهم وفق ما يقتضيه العقل الفطري السليم، غير أن «محمود يعقوبي» لم يتوقف عند هذا القدر وفقط، بل حاول أن يصنف ويجمل بعض أراء

الملحدين من مثل الإلحاد المادي عند «هيرقليطس» و«ابيقور» و«ديمقريطس» والإلحاد الإنساني عند «الماركسيين» والإلحاد «النيتشوي» والإلحاد الوجودي عند «جون بول سارتر» مبينا طبيعة أرائهم وقيمة حججهم ليخلص إلى مناقشة نقدية إجمالية يمكنها أن توضح لطالب الفلسفة كيف أن الموقف الإلحادي في أغلبه موقف سلبي، لأنه ينكر وجود الإله وليس في متناوله أية حجة يستند عليها في إنكاره، لأنه» لا سبيل إلى إثبات الحقائق إلا باعتماد التجربة أو البرهان وليس هذان السبيلان مما يمكن للملحد أن يسلكهما لإثبات عدم وجود الإله»[28] من هنا نجد أن «محمود يعقوبي» يهدف إلى عرض مواقف بعض الفلاسفة والمتكلمين في إثباتهم لوجود الإله، مثل دليل الحركة الذي أثبته «أرسطو طاليس» ودليل العلة الفاعلة الذي أثبته «ابن سينا» ودليل الإمكان «للفارابي»، ودليل النظام والعناية «لابن رشد» والدليل الوجودي عند «أنسلم»، ولعل هدفه من عرض هذه الأطروحة هو تنبيه طالب الفلسفة الذي يسعى إلى تحصيل معرفة حول مشكلة الألوهية إلى أن وجود الإله محل استدلال ولا يمكن أن يكون محل برهنة، لأن البرهنة لا تستقيم إلا بين التصورات التي يتضمن بعضها بعضا ويلزم ثبوت بعضها من ثبوت بعضها الأخر دونما التفات إلى وقائع العالم الخارجي وليس المطلوب في هذا الصدد مجرد تصور للإله، ولهذا لا يمكن أن يكون الدليل إليه مجرد تصورات أخرى[29]، ومن شأن التحديدات السابقة أن تكون لدى طالب الفلسفة تحصيلا بيداغوجيا يمكنه من معرفة تهافت أراء الملحدين والمتصوفة الحلوليين من جهة ومعرفة طبيعة الاستدلالات والحجج التي أثبتها المثبتون لوجود الإله من جهة أخرى، وبهذا يستطيع طالب الفلسفة أن يحكم على بعض المواقف أو أن يفند بعضها إذا ما هو اختبر حججهم واستدلالاتهم و وضعها على محك الاستدلال العقلي السليم، أو أن يناقش بعض الآراء والمواقف التي تثبت وجود الإله إذا ما هو وجد وجه الحاجة إلى ذلك باستناده على تبريرات واستدلالات تقتضيها طبيعة المقام المستدل فيه دون غيره.

خاتــمة:

لقد كان هدف هذا البحث هو معرفة الإسهامات التربوية والتعليمية التي أضافها الدكتور «محمود يعقوبي» في مجال الدرس الفلسفي من خلال سلسلة مؤلفه «خلاصة الميتافيزيقا»، وكذا تداعيات وامتدادات هذه الإسهامات على مسار التحصيل التربوي والتعليمي لطالب الفلسفة، ولكن نركز في هذا الاستنتاج على الروح الفلسفية التي يتمتع بها «محمود يعقوبي» فهو حين يتناول بالتحليل طبيعة الأجسام مثلا يذهب في البحث عن الحقيقة إلى أقصى مداها، فهو لا يتوقف عند الظاهرة كما تمده بها الحواس بل يسعى إلى بلوغ ماهيتها، حيث يقول في هذا الصدد» والمراد الآن هو تحديد الجسم في ماهيته أي تحديد المبادئ المكونة له والتي هو بها لا هو الجسم المعين أو ذك بل مجرد الجسم على الإطلاق»[30]، أما حين تتوغل في خلاصة الميتافيزياء بالقراءة وتتمعن فيها فتشدك الدقة والوضوح والاستقصاء وشدة الانتباه، لأن الذي لا يتتبع المشكلات بحسب ترابطها ولا يمعن في معرفة جميع حلقاتها تأتي تصوراته أو تفسيراته ناقصة، بيد أننا التمسنا في كتاب الخلاصة تلك الجرأة العقلية على اقتحام موضوعات متعددة في مجال العلوم الإنسانية، فهو حين يتناول الفيزياء النووية المعاصرة ويتحدث عن الالكترونات والبوزيترونات والنيترونات والفوتونات وإمكان تحولها إلى الكترونات، ثم في تناوله كذلك لنظرية الكوانتى وحركة الإلكترون حول النوات وعدد دوراته الملياري الذي يرد إليه الإشعاع النووي، ثم عن تفكيك النواة بأشعة «غاما» فإننا نجده يحلل المشكلة كما تناولها المفكرون والفلاسفة ويقدم موقفه ويحلل شارحا حججهم ويفرض عليها ترتيبا بشكل منطقي

بحيث تهيئ الحجة الأولى للثانية، ثم يناقش كل منها مبينا صحيحها من فأسدها ومبديا موقفه في ذلك معيدا بناءها وتركيبها، وبهذا يكون التحليل والتركيب قد وجدا لهما مكانا في كتابه لأن الذي «لا يرى وراء الأشياء العناصر التي تتكون منها وإمكان أن توجد هذه العناصر في صورة أشياء أخرى لا يمكنه أن يستشف رابطة العلية المحايثة لتكون الأشياء وفسادها اللذين تريد الفلسفة تفسيرهما وفهم الغاية منهما»[31]، ويختم «محمود يعقوبي» مؤلفه «سلسلة خلاصة الميتافيزياء» بإيجاز بليغ مبينا ضرورة المبحث الميتافيزيقي وأهميته سواء لطالب الفلسفة المتعلم أوللإنسان الباحث المتشغف لإرضاء فضوله المعرفي، مفندا في ذلك الدعوى التي تقزم مبحث الميتافيزياء، أي «المعرفة الممكنة» أمام المعارف العلمية أي «المعرفة الضرورية»، قائلا «تبدو لنا المعرفة الممكنة معرفة مغايرة للمعرفة العلمية التي هي معرفة ضرورة، كما أنها ليست معرفة مناقضة للمعرفة العلمية، لأن العلم لا يستطيع تكذيبها، وبالتالي فهي ليست مستحيلة وهي في جميع الأحوال رؤية العقل الحر لماهيات ولعلل لا يتصورها العلم وحركة للعقل الذي يتحرك من تلقاء نفسه لكي يبلغ كل مداه ويبذل من الجهد أقصاه ويصل من العرفان البشري إلى منتهاه»[32]

المصادر والمراجع:

-1ابن رشد، «تهافت التهافت»، طبعة موريس، ج م ت، بيروت.
-2 محمود فهمي زيدان، «مناهج البحث الفلسفي»، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2004.
-3 محمود يعقوبي، «خلاصة الميتافيزيقا، كتاب «فلسفة المعرفة»، درا الكتاب الحديث، د .ط، الجزائر، 2002.
-4 محمود يعقوبي، «خلاصة الميتافيزيقا، كتاب «فلسفة الوجود»، درا الكتاب الحديث، د .ط، الجزائر، 2002.
-5 محمود يعقوبي، «أصول الخطاب الفلسفي»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
-6 يعقوبي محمود، «خلاصة الميتافيزياء»، كتاب «فلسفة الألوهية»، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2002.
-7 يعقوبي محمود، «خلاصة الميتافيزياء»، كتاب «فلسفة طبيعة»، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2002.

الهوامش:

* - مقال غير منشور تم المشاركة به في ملتقى وطني بالمدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة، الجزائر، حول "تدريس الفلسفة في الجزائر الواقع والآفاق"، يومي -18 19 أفريل 2011.

2 - محمود يعقوبي، «خلاصة الميتافيزيقا، كتاب «فلسفة المعرفة»، درا الكتاب الحديث، د .ط، الجزائر، 2002، ص 03.

3 - المصدر نفسه ،ص4

4 - المصدر نفسه، ص5.

5 - محمود يعقوبي، «أصول الخطاب الفلسفي»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 23.

6 - المصدر نفسه، ص 35.

7 - محمود يعقوبي، «خلاصة الميتافيزياء، «كتاب «فلسفة المعرفة»، ص 11.

8 - محمود يعقوبي،»أصول الخطاب الفلسفي»ص44، نقلا عن « تهافت التهافت» لابن رشد، طبعة موريس، ج م ت، 1930، بيروت، ص 182.

9 - المصدر نفسه، ص 82.

10 - المصدر نفسه، ص18

11 - محمود يعقوبي، «أصول الخطاب الفلسفي»، مصدر سابق، ص 146

12 - محمود فهمي زيدان، «مناهج البحث الفلسفي»، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2004، ص 17

13 - يعقوبي محمود،»خلاصة الميتافيزياء»، كتاب «فلسفة طبيعة» ، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2002، ص09، ص10 .

14 - المصدر نفسه، 14.

15 - محمود يعقوبي، «خلاصة الميتافيزيقا»، كتاب «فلسفة الوجود»، مصدر سابق، ص5.

16 - المصدر نفسه، ص8 إلى ص19

17 - محمود يعقوبي، «خلاصة الميتافيزيقا»، كتاب فلسفة الوجود»، ص22

18 - المصدر نفسه، ص27.

19 - المصدر نفسه، ص26، ص27

20 - المصدر نفسه، ص 21 إلى ص30

21 - المصدر نفسه، ص 33 إلى ص35.

22 - محمود يعقوبي، «خلاصة الميتافيزيقا»، كتاب فلسفة الوجود»، ص 39، ص40.

23 - المصدر نفسه، ص 40

24 - المصدر نفسه، ص 40

25 - المصدر نفسه، ص80

26 - المصدر نفسه، ص80

27 - محمود يعقوبي، «خلاصة الميتافيزيقا»، كتاب «فلسفة الألوهية»، ص 8.

28 - المصدر نفسه، ص 26.

29 - المصدر نفسه، ص 38.

30 - محمود يعقوبي، «أصول الخطاب الفلسفي»، مصدر سابق، ص146.

31 - المصدر نفسه، ص 14.

32 - محمود يعقوبي، «خلاصة الميتافيزيقا»، كتاب «فلسفة الألوهية»، مصدر سابق، ص 80.